

أوائل المسلمين

١

إسلام أبى بكر

بمقدم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام أبجد بكر

بقلم
السَّيد شحاته

منظمة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربَّ العالمين ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُبْعُوثِ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ :

فَهَذِهِ صُورَةٌ صَادِقَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ .
لِصَفْوَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَجَلَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا
وَضَحَّوْا بِالْغَالِي وَالْتَفَيْسِ فِي نَشْرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وَقَدْ جَاءَتْ رَائِعَةُ الْأُسْلُوبِ ، قَرِيبَةً إِلَى الْأَذْهَانِ .

وَاللَّهُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُفِيدَةً هَادِيَةً ، وَأَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا كُلُّ
مُسْلِمٍ لِأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ صَفْحَاتِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ
الْعَظِيمِ .

وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

صاحبان

قَبْلَ ظَهْوَهِ الْإِسْلَامِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا ، أَوْ أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ قَلِيلًا ،
تَرَعَّرَ فِي أَحْضَانِ مَكَّةَ شَبَابُ جِيلٍ عَرَفِيٍّ ، تَجْمَعُهُمْ رَوَابِطُ
الْقَرَابَةِ ، وَالْوَطَنِ ، وَرَوَابِطُ الْجَوَارِ وَالْعَمَلِ .
يَجْرَى النَّاسُ هُنَا ، وَهُنَاكَ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَسِيرُ إِلَى
غَايَتِهِ ، وَيَتَّجِهُهُ إِلَى أَهْدَافِهِ ، فِي أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ .
وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، تَعَارَفَ رَجُلَانِ ، وَاصْطَحَبَا ، رَبَطَتْ بَيْنَهُمَا
عِلَاقَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْوُدِّ وَالْحُبَّةِ ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ ، وَصِدْقِ
الْكَلِمَةِ ، وَطَهَارَةِ الضَّمِيرِ ، وَنُبْلِ الْغَرَضِ .
أَمَّا أَوَّلُ الرَّجُلَيْنِ : فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ
هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ .
وَأَمَّا الثَّانِي : فَهُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ
كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ .
فَكَانَ النَّسَبُ اتِّفَاقًا بَيْنَهُمَا فَوْقَ الرُّوَابِطِ السَّابِقَةِ ، لِأَنَّ بَيْنَ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَبَيْنَ جَدِّهِ (مُرَّةَ) سِتَّةَ آبَاءٍ .



طِبَاعُ مُتَالِفَةٍ

وكانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَجُلًا مِنْ أَشْرَفِ رِجَالِ
العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ رَفِيقَ الطَّبَعِ ، مَحْمُودَ الخِصَالِ ، وَافِرَ
العَقْلِ ، شُجَاعًا فِي الحَقِّ ، صَائِبَ التَّفْكِيرِ ، لَمْ يُشَارِكْ قَوْمَهُ فِيما
يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ ، أَوْ يُسْرِفُونَ فِيهِ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ ، أَوْ لَعِبِ
القِمَارِ .

• • •

أَمَّا مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَعَدَا قَبْلَ الرِّسَالَةِ يَوْهَلَهُ رَبُّهُ
لِحَمَلِ أَعْظَمِ رِسَالَةٍ فِي التَّارِيخِ ، فَكَانَ يَسِيرُ حَامِلًا زَادًا قَلِيلًا ،
حَتَّى يَصِلَ مَكَانًا عَالِيًا ، فِي جَبَلٍ حَرَاءٍ ، وَفِي الغَارِ هُنَاكَ يُفَكِّرُ فِي
خَلْقِ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، فَإِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ نَظَرَ إِلَى النُّجُومِ ، وَفَكَّرَ
فِي خَلْقِهَا ، وَقَضَى النَّهَارَ فِي تَأْمُلٍ ، وَاللَّيْلَ فِي تَدَبُّرٍ ، وَكَذَلِكَ
ظَلَّ ، يُهَيِّئُهُ رَبُّهُ وَيُصَفِّيهِ ، وَيُنَشِّرُ عَلَيْهِ مِنْ ظِلَالِ رَحْمَتِهِ .
وكانَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْفَتَيَانِ الَّذِينَ تَرَبَّوْا فِي جَاهِلِيَّةِ قُرَيْشٍ ،
وَلَكِنْ رَبَّهُ خَصَّه ، وَنَقَّاهُ ، وَطَهَّرَهُ ، فَكَانَ - وَحْدَهُ - لَهُ
صِفَاتٌ ، وَلَهُ عِلَامَاتٌ وَعَادَاتٌ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ شَبَابُ قُرَيْشٍ ،
فَيُعْجَبُونَ ، بِخِصَائِصِ هَذَا الْفَتَى الْعَجِيبِ . وَتَحْتَ أَنْظَارِهِمْ
جَمِيعًا كَانَتْ تَبْدُو طَهَارَتُهُ ، وَأَمَانَتُهُ ، وَصَفَاؤُهُ .

فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ

وَلَمَّا بَدَأَتْ قُرَيْشٌ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَتْ ، كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ ، وَإِزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ : يَا ابْنَ أَخِي ، لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ؟

فَشَدَّ مُحَمَّدٌ ثَوْبَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَلَمْ يَكُذْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِزَارِي . إِزَارِي ، ثُمَّ أَسْبَلَ إِزَارَهُ عَلَى جَسَدِهِ الطَّاهِرِ . وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْفِتْيَانِ ، وَكَانَ الْفِتْيَانُ يَتَنَاقَلُونَ هَذَا الْحَدِيثَ الْعَجِيبَ ، وَيَتَسَامَرُونَ بِقِصَّتِهِ ، فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَمِنْهُمْ فِتْيَانٌ أَطْهَارٌ ، أَخَذَ هَذَا الْحَادِثُ مِنْ نَفْسِهِمْ مَأْخِذَهُ الْقَوِيَّ ، يُحَدِّثُونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَهَيِّمُونَ حُبًّا بِالْفَتَى الطَّاهِرِ ، الَّذِي خَصَّهُ الْقَدَرُ بِأَسْمَى الصِّفَاتِ ، وَأَجَلُّ الْكَرَامَاتِ .

وَهُمْ صَفْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، عُرِفُوا بِالتَّفَكُّيرِ وَالْحِكْمَةِ ، وَحُسْنِ الرَّأْيِ ، وَالْبُعْدِ عَنِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، فَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَعْقِدُ صَلَاتَهُ بِهِمْ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَكْثَرَهُمْ صَلَةً بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .



كَانَ الصَّاحِبَانِ : مُحَمَّدٌ وَأَبُو بَكْرٍ يَنْقُلَانِ الْخُطَى عَلَى أَرْضِ
مَكَّةَ ، تَارِكَيْنِ مَنَازِلَهَا وَمُنْتَدِيَاتِهَا إِلَى هُدُوءِ الصَّحَرَاءِ ، وَالْخَلَاءِ ،
حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَيَا إِلَى بَقْعَةٍ نَائِيَةٍ هَادِئَةٍ اخْتَلَى كُلُّ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ،
يُبَيِّنُ أَسْرَارَهُ ، وَيُظْهِرُ لَهُ مَا يَسْرُهُ ، وَمَا يُحْزِنُهُ ، مِنْ أُمُورِ الْقَوْمِ
الَّتِي تَجْرَى أَمَامَهَا :

أَبُو بَكْرٍ الشَّابُّ النَّحِيفُ التَّاجِرُ ، يَشْكُو مَتَاعِبَ التَّجَارَةِ ،
وَمَا يُلَاقِيهِ مِنْ مُسَاوِمَاتِ النَّاسِ ، وَحَلْفِهِم بِالْبَاطِلِ ، وَغِشِّهِمْ ،
وَيَشْكُو ، لِأَنَّ التَّاجَرَ النَّاجِحَ هُوَ صَاحِبُ السَّلْعَةِ ، الَّتِي يَدْفَعُهَا إِلَى
الْمَشْتَرِينَ بِالْخِدَاعِ ، وَالْكَذِبِ ، وَالْقَسَمِ عَلَى الْأَصْنَامِ !!

وَمُحَمَّدُ الشَّابُّ الْفَتَى الطَّاهِرُ يَشْكُو لَصَدِيقِهِ مَا فِي مَكَّةَ مِنْ
عَادَاتٍ سَيِّئَةٍ ، فَالنَّاسُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ، وَيَرْتَكِبُونَ أَسْوَأَ
الْعَادَاتِ : يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَيَلْعَبُونَ الْمَيْسَرَ ، وَلَا يَفْكُرُونَ فِي
خَالْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ .

يَخْتَلِي الصَّاحِبُ بِصَاحِبِهِ ، وَكُلُّ مِنْهُمَا يُدَاوِي جِرَاحَ الْآخَرِ
بِكَلِمَةٍ رَاشِدَةٍ ، أَوْ رَأْيٍ سَدِيدٍ ، وَيُخَفِّفُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يُقَاسِيهِ ،
وَلَكِنَّهَا يَفْتَرِقَانِ دَائِمًا ، وَهِيَ فِي حَيْرَةٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي



يُسْمِعُ مِنَ الْبَادِيَةِ قَائِلًا : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ . سَلَامٌ عَلَيْكَ
يَا مُحَمَّدُ .

فَإِذَا سَمِعَ مُحَمَّدُ النَّدَاءَ انْتَفَتَ خَلْفَهُ فَلَا يَرَى شَيْئًا .
وَتَكَرَّرَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ كُلَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ وَحِيدًا فِي صَحْرَاءِ مَكَّةَ .
وَلَا يَبُوحُ الصَّدِيقُ الْأَمِينُ بِذَلِكَ السِّرِّ إِلَّا لَصَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ .
عَسَى أَنْ يَجِدَ عِنْدَهُ الْجَوَابَ . الَّذِي يُخَفِّفُ مِنْ حَيْرَتِهِ .
وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْكُتُ . فَلَا جَوَابَ لَدَيْهِ . إِنَّهُ أَمْرٌ خَارِقٌ
لِلْعَادَةِ . مُجَاوِزٌ لِلْمَأْلُوفِ . فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ عَنْهُ
بِجَوَابٍ ؟

إِنَّهُمَا صَدِيقَانِ يَتَفَاهَمَانِ مُخْلِصَيْنِ . فِيمَا يَهْمُهُمَا . وَفِيمَا يُشَاهِدَانِ
مِنْ أُمُورٍ . فِي أَهْلِيهَا . وَفِي بَلَدِهَا .
وَلَكِنَّ ذَلِكَ النَّدَاءَ الْغَرِيبَ خَفِيَ أَمْرُهُ . وَلَا يَصِلُ إِلَى تَفْكِيرِهَا
سِرُّهُ . إِذَنْ فُلْيُتْرَكَا الْبَحْثُ فِيهِ . وَالتَّعْلِيلُ لَهُ . لِأَنَّهَا لَا يُمْكِنُ
حَتْمًا أَنْ يَصِلَا إِلَى قَرَارٍ .
وَهَا . وَإِنْ تَرَكَا التَّفْكِيرَ فِيهِ فَإِنَّهُ يَشْغُلُ مِنْ نَفْسٍ كُلِّ مِنْهُمَا
مَكَانًا . مَا لَهَا مِنْ ذَلِكَ مَهْرَبٌ .



نصيحة زوجة

وفي ليلةٍ جلسَ الزوجُ الحبيبُ إلى زوجته الحانية خديجة .
يقولُ لها :

- إنني إذا خلوتُ إلى نفسي سمعتُ نداءً ، يقولُ . كذا ،
وكذا ، فتتجهُ الزوجةُ بهِ إلى ابنِ عمِّها : ورقة بن نوفل .
ورقةُ بنِ نوفلِ ، ابنُ عمِّ خديجةَ ، شيخٌ مُسنٌّ ، يدرسُ
الإنجيلَ ويعرفُ أخبارَ الأنبياءِ والأديانِ ، ثمَّ هو رجلٌ مُجربٌ ،
يقرأُ كثيراً ، ويدرسُ علومَ زمانه ، ويفهمُ كثيراً مِنَ الأسرارِ وكما
قالَ بعضُ المؤرِّخينَ أن أبا بكرٍ حضرَ هذا اللقاءَ .

أخذَ أبو بكرٍ بيدَ صديقه الأمينِ ، وسارا إلى ورقة بنِ نوفلِ .
فلما جاءهُ قصَّاهُ عليه قصَّةَ ما سمعَ محمدٌ . فتأملَ الكاهنُ ،
وهشَّ في وجهيهما ورحَّبَ بهما ؛ لأنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ أَمَامَ نَبِيِّ هَذِهِ
الأمَّةِ . ومعهُ صاحبهُ الصديقُ فطمأنهُما ، وأنبأهُما خيراً .



رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ

وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ رَحْلَتَانِ : إِحْدَاهُمَا إِلَى الْيَمَنِ فِي الشَّتَاءِ .
وَالْأُخْرَى إِلَى الشَّامِ صَيْفًا . وَكُلُّ ذَلِكَ لِلتَّجَارَةِ . تَحْمِلُ رَحْلَةُ
الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ . وَإِلَى الْيَمَنِ مِنْ خَيْرَاتِهَا مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ
الْبَلَدَيْنِ . وَتَحْمِلُ مَعَهَا مِنْ خَيْرَاتِ الْبَلَدَيْنِ مَا يَرْجُو عِنْدَ أَهْلِ
الْحِجَازِ .

وَلَمَّا كَانَتْ رَحْلَةُ الصَّيْفِ اسْتَعَدَّ التُّجَّارُ لِحَمْلِ بَضَائِعِهِمْ إِلَى
الشَّامِ وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَبُو بَكْرٍ . حَمَلَ بَضَائِعَ مَكَّةَ . وَبَضَائِعَ
كَانَتْ عِنْدَهُ مِنْ سِلْعِ الْيَمَنِ .

حَتَّى إِذَا خَرَجَتِ الْقَافِلَةُ سَارَ فِي مُقَدِّمَتِهَا . بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ حَبِيبَهُ
وَصَدِيقَهُ « مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ » .

وَسَارَتِ الْقَافِلَةُ تَشْقُ بَطْنَ الصَّحْرَاءِ . وَتَحْطُ فِي مَنَازِلِ
الطَّرِيقِ لِلرَّاحَةِ نَهَارًا ، وَبَعْضًا مِنَ اللَّيْلِ . ثُمَّ تَسِيرُ لَيْلًا وَبَعْضَ
النَّهَارِ ، حَتَّى أَشْرَفَتِ الرَّحْلَةُ عَلَى نَهَائِهَا .

انْتَهَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ بَيْعِ تِجَارَتِهِ فِي أَرْضِ الشَّامِ . وَحَمَلَ
تِجَارَةً مِنْ هُنَاكَ يَبِيعُهَا فِي مَكَّةَ . وَعَادَ إِلَيْهَا فِي رِعَايَةِ اللَّهِ .

ولمَّا أَلْقَى رَحْلَهُ فِي بَلَدِهِ (مَكَّة) شُغِلَ بِأَمْرِ تِجَارَتِهِ كَمَا شُغِلَ بِمَا
يُنْتَظَرُهُ . فِي بَلَدِهِ . وَفِي بَيْتِهِ . فَرَّاحٌ يُصَرِّفُ أُمُورَهُ . وَيُرْتَّبِ
أَحْوَالَهُ . بَعْدَ أَنْ غَابَ عَنْ وَطَنِهِ مَدَّةً طَوِيلَةً .

وَبَعْدَ ذَلِكَ شُغِلَ بِتِجَارَتِهِ . يَعْرضُهَا عَلَى النَّاسِ فِي أَمَانَةٍ
وَصِدْقٍ . عَلَى غَيْرِ مَا عَهَدَهُ النَّاسُ فِي تِجَارِ بَلَدِهِ .

كُلُّ ذَلِكَ أَخَذَ مِنْهُ وَقْتَهُ كُلَّهُ . فَلَمْ يُقَابِلْ صَدِيقَهُ (مُحَمَّدًا) .

وَكَانَ الصَّدِيقُ الْحَبِيبُ كَذَلِكَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ بِتِلْكَ
(الرِّيَاضَةِ) الْعَظِيمَةِ . الَّتِي انْقَطَعَ لَهَا . يُضَيُّ لَهَا رَبُّهُ الطَّرِيقَ
بِنَامَاتٍ صَادِقَةٍ . فَيَقْضِي نَهَارَهُ . وَأَكْثَرَ لَيْلِهِ . يُفَكِّرُ فِي الْعَالَمِ
وَفِي خَلْقِهِ . وَفِي هَذِهِ الْأَصْنَامِ الْعَاجِزَةِ . وَهُوَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ .
حَتَّى لِيُنْسِيَهُ تَفَكُّيرُهُ طَعَامَهُ وَنَوْمَهُ . وَيُنْسِيَهُ مُرُورَ الْوَقْتِ . وَيَتْرَكُهُ
مُعَلِّقًا بِمَا يَشْنُو أَنْ يَعْرِفَ مِنْ حَقِيقَةِ الْعَالَمِ . وَسِرِّ الْوُجُودِ . ثُمَّ
بِسُرْعَةٍ فِي الْغَارِ سَاعَاتٍ قَلِيلَةً . يَعُودُ بَعْدَهَا إِلَى تَفَكُّيرِهِ وَتَأَمُّلِهِ فِي
الْكُونِ . وَخَالِقِهِ . وَمَلَائِكَتِهِ . وَرُسُلِهِ .

مَضَى بَعْضُ الْوَقْتِ مُنْذُ عَادَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ الشَّامِ . قَضَى فِي



هَذَا الْوَقْتُ عَلَى الْبَيْتِ فِي الْأُمُورِ الْعَاجِلَةِ ، ثُمَّ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ لَهْفَةً
وَحُبًّا إِلَى مُجَالَسَةِ حَبِيبِهِ ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى حَدِيثِهِ ، وَرَأْيِهِ .

عَادَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ الشَّامِ ، مُسْتَأَقًّا إِلَى صَدِيقِهِ ، وَصَاحِبِهِ ،
وَلَكِنْ أُمُورَ مَكَّةَ شَغَلَتْهُ عَنْ لِقَائِهِ قَلِيلًا ، وَإِنْ كَانَ تَفْكِيرُ كُلِّ مِنْهَا
فِي صَاحِبِهِ لَا يَنْقَطِعُ .

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ أَبُو بَكْرٍ فِي شُغْلِهِ ، يُصَرِّفُ أُمُورَ تِجَارَتِهِ ،
وَيُجْتَمِعُ حَوْلَهُ الْقُرَشِيُّونَ حِينًا ، وَيَنْفَضُّونَ عَنْهُ حِينًا آخَرَ ، وَتَأْتِي
وُفُودٌ إِلَيْهِ إِثْرَ وَفُودٍ ، يَلْتَمِسُونَ مِنْ مَالِهِ ، وَمِنْ رَأْيِهِ .



كَيْفَ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ

كَانَ أَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَجُلًا مَحْبُوبًا فِي قُرَيْشٍ ، يُحِبُّ النَّاسَ وَيُحِبُّونَهُ ، وَيَجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ ، فَيَسْتَمْعُونَ إِلَى حَدِيثِهِ .

وَكَانَ عَالِمًا بِأَنْسَابِ قُرَيْشٍ وَتَارِيخِهَا ، عَلَى دِرَايَةٍ كَبِيرَةٍ بِأَخْبَارِ الْأَجْدَادِ وَالْأَبْنَاءِ ، كَمَا زَادَتْهُ التَّجَارَةُ وَالسَّفَرُ بَيْنَ الْبِلَادِ الْمُخْتَلِفَةِ عِلْمًا وَتَجَرِبَةً .

وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلَسَ عِلْمٍ وَتَسْلِيَةٍ ، نَظَرًا لِمَا كَانَ يَحْكِيهِ عَنْ سَفَرِيَّاتِهِ الْكَثِيرَةِ وَمَا لَقَاهُ مِنْ طَرَائِفٍ وَغَرَائِبَ ، وَكَانَتْ مَنَزَلَتُهُ بَيْنَ قَوْمِهِ عَظِيمَةً ، كَمَا كَانَتْ ثَرْوَتُهُ كَبِيرَةً .

وَكَانَ حُبُّهُ لَصَدِيقِهِ مُحَمَّدٍ لَا يَسَاوِيهِ حُبُّ أَيِّ شَيْءٍ ، وَكَانَتْ تَجْمَعُهُ مَعَهُ رَابِطَةٌ قَوِيَّةٌ مِنَ الثَّقَةِ وَالْإِحْلَاصِ .

فَلَمَّا جَاءَ الْوَحْيُ وَنَزَلَ بِالرَّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ عَلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ وَأَمْرَهُ اللَّهُ بِالدَّعْوَةِ فِي السِّرِّ ، وَأَسْلَمَتِ الزَّوْجَةُ الْعَظِيمَةُ خَدِيجَةُ ، وَأَسْلَمَ عَلِيٌّ وَهُوَ صَغِيرٌ وَأَسْلَمَ خَادِمُهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنَ الْعَبِيدِ .

رَأَى الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ يَعْزُضَ الْإِسْلَامَ عَلَى صَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ ، فَمَا كَادَ يَسْمَعُ الْعَرَضَ حَتَّى أَسْلَمَ .

وكان إسلامه إسلامَ الواثقِ المطمئنِّ إلى صدق ما جاء به صاحبه .

وكان ﷺ بعد نزول الوحي إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب وأبو بكر ، فيصلون في تلك الشعاب ، حتى إذا جاء المساء عادوا ومكث الرسول وصحبه على هذه الحالة ما شاء الله أن يمكثوا .

وكان سرور النبي عليه السلام شديدا ، لإسلام صاحبه . وقد حقق أبو بكر أمل صديقه ، فكان نعم المسلم الصديق لنبي الإسلام عليه صلوات الله وسلامه .

أسلم أبو بكر وفتح الله قلبه لدينه الحنيف ، فكان أول رجل أسلم .

وكان رجلا محبوبا في قومه موثوقا به ، محببا سهلا فيهم ، فيه شجاعة في إعلان الحق ، ولو كره المشركون ، فأظهر إسلامه ودعا إلى عبادة الله وحده ، والإقرار برسالة محمد رسوله ، وجعل مسجدا بفناء داره ، يُصلى فيه ، ويقرأ القرآن الكريم ، ويجتمع عليه الناس ، ويستمعون إلى قراءته ، ويعجبون لبكائه ، وينظرون إلى صلاته ، وخشوعه ، ونفسه تفيض حبا لله ، وخشية منه .

وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً يجتمع إلى مجلسه دائماً صفوة من قريش ، يستفيدون من علمه ، وخلقه ، وصفاء رأيه ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به منهم فأسلم منهم كثير .

أسلم بدعائه : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استجابوا إلى الدعوة ، فأسلموا جميعاً .

وكان من هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام أعظم كسب حقيقته الدعوة المباركة . رضى الله عنهم أجمعين .

وكان الرسول عليه السلام فرحاً راضياً ، لإسلام أبي بكر ، مطمئناً لصحبته ، شديد الثقة والصلوة به ، وكان يذكّر إسلامه ، ويشنى عليه .

قال عليه السلام : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبرة ^(١) ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عنكم ^(٢) عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه » .

(١) كبرة : تأخير في الإجابة . (٢) ما عنكم : تأخر .

مِنْ صِفَاتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا انْتَقَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِالذُّهُولِ ، وَدَخَلَ فِي نَفُوسِهِمُ الشُّكُّ ، حَتَّى إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ :

— مَنْ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ بِسَيْفِي ، إِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ وَسَيَعُودُ إِلَيْنَا كَمَا رَجَعَ مُوسَى .

فَوَقَفَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَئِذٍ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ثُمَّ تَلَا آيَةَ الْكَرِيمَةِ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَعُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١١١)

عِنْدَهَا وَقَعَ عُمَرُ عَلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا مِنْ قَبْلِ .

لَمْ يَجْزَعْ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَدْخُلِ الشُّكُّ إِلَى نَفْسِهِ ، بَلْ دَفَعَ الرَّيْبَ عَنْ نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ ذَكَرَهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٢٠)

بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ارْتَدَّ عَدَدٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنِ الْإِسْلَامِ
بَلِ ادَّعُوا النَّبُوَّةَ ، فَكُثِرَ الْكَذَّابُونَ مِنْهُمْ : الْأَسُودُ الْعَنْسِيُّ فِي
الْيَمَنِ ، ادَّعَى أَنَّهُ نَبِيٌّ . وَكَذَا ادَّعَى النَّبُوَّةَ مَسِيلِمَةُ الْكَذَابِ فِي
الْيَمَامَةِ . وَادَّعَى النَّبُوَّةَ طَلْحَةُ فِي بَنِي أَسَدٍ . وَارْتَدَّتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ
وَمَنْعُوا دَفْعَ الزَّكَاةِ وَقَالُوا كُنَّا نَدْفَعُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ أَمَا الْآنَ فَلَا .

فَأَصْرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى قِتَالِهِمْ جَمِيعًا مَهْمَا قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَتَقَاتِلُ قَوْمًا يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مَقَالَتَهُ الْمَشْهُورَةَ :

« وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا [الْحَبْلُ الَّذِي يَرْبُطُ بِهِ الْجَمَلُ] كَانُوا
يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ لِقَاتِلَتِهِمْ عَلَيْهِ » وَقَدْ كَانَ وَانْتَصَرَ الْإِسْلَامُ فِي
حُرُوبِ الرُّدَّةِ .

وَفِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ بَعْدَهُ طَلَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ أَنْ تَرُدَّ
مَا لَا عِنْدَهَا كَانَ قَدْ أُوْدِعَهُ مَخَافَةَ أَنْ تَأْخُذَهُ لِنَفْسِهَا وَقَالَ لَهَا : إِنَّمَا
هُمَا أَخَوَاكِ وَأَخْتَاكِ وَلَمْ تَعْرِفِ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ بِالْأَخْتِ الرَّابِعَةِ
فَسَأَلَتْهُ عَنْهَا فَقَالَ لَهَا : هِيَ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ مِنْ أُمِّ أُخْرَى غَيْرِ
أُمِّهَا اسْمُهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ .



وَأَوْصَى أَنْ يَكْفَنَ فِي ثَوْبَيْنِ قَدِيمَيْنِ كَانَ يُصَلَّى فِيهِمَا فَلَمَّا
عَرَضَتْ عَلَيْهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ أَنْ يَكْفَنَ فِي الْجَدِيدِ قَالَ :

إِنْ الْحَيُّ أُخْرِجَ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ ، إِنَّمَا الْكَفَنُ لَمَّا يَخْرُجُ
مِنَ الْمَيِّتِ وَلِلتُّرَابِ أَيْضًا .

وَقَدْ تُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لثَمَانِ
أَيَّامٍ بَقِيْنَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣ مِنْ الْهَجْرَةِ ، وَدُفِنَ مِنْ لَيْلَتِهِ
بِبَيْتِ عَائِشَةَ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْمِنْبَرِ .

